عبدالله شمس الدين

تعلّمت من البهائم
ما أخفاه عني البشر

هذا الكتاب مليء
بالكوميديا السوداء

لا تقرأه إن كنت تظن
أنك تعيش في الجنة!

دار البهيمة للنشر الإلكتروني

تعلمتُ من البهائم

اسم الكتاب: تعلمت من البهائم
اسم الكاتب: عبد الله شمس الدين
الرقم الدولي EBIN: 16-1-447-260702
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: 2026م / 1448هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934
@ bassmabook
bassmabook@gmail.com
المملكة المغربية

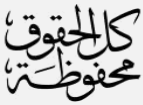

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. ولا يجوز بأيّ صورة نشرَ أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

تعلّمتُ من البهائِم

ما أخفاه عني البشر

هذا الكتاب مليء بالكوميديا السوداء

لا تقرأه إن كنت تظن أنك تعيش في الجنة!

عبدالله شمس الدين

دار البسمة للنشر الكتروني

إهداء وتحية وإجلال

إلى البهائم الذين لولاهم ما مطرنا.. كما قال عليه الصلاة والسلام.

مقدمة

من عجائب المفارقات أن أعظم عدو للإنسان إنسان مثله، بينما أرفق مخلوق بالحيوان بعد أمه هو الإنسان!

هذا الكتاب أدبي تأملي، وقد اعتمدت فيه على ما ورد في كتب التراث من أخبار الحيوانات، سواء ثبتت علميًا أم لم تثبت، لأن المقصود استخراج الحكمة والعبرة.

فإن قيل: كيف نأخذ العبرة من معلومة غير دقيقة، بل مشكوك فيها؟

والجواب: أعيذك بالله أيها القارئ أن تكون أحمق، كأن أشير إلى الحكمة المستوحاة من المعلومة، فتأبى إلا أن تنظر إلى صحة المعلومة من عدمها. فالمعلومة وإن لم تصح، إلا أن واقعنا اليومي مليء بحالات شبيهة لها، تكاد لا تُحصى.

أيها القارئ الكريم؛ عليك بالتدبر والتأمل، وابتعد عن الحـزازات ومـا لا طائـل منـه. وقـد روي عـن أبي الـدرداء: (تفكر ساعة خير من قيام ليلة).[1]

لماذا اخترت هذا العنوان؟ ولماذا تخصيص البهائم؟

لي اعتقـاد منـذ القـدم أن البهـائم قـد تفوقـت عـلى الإنسـان.. تفوقـت عليـه في الرحمـة.. تفوقـت عليـه في العلـم.. تفوقـت عليـه مـن حيـث أنهـا أكـثر صـدقًا مـن المنافقين الذين ملؤوا الشوارع! هذا التفوق إن وقع ولو لحظة من الزمن، فإنه يطلق عليه تفوقًا. مثاله: تعليم الغراب كيفية الدفن في لحظات من الزمن!

نحـن في زمـن أثبـت الحيـوان رحمتـه، بينمـا أثبـت الإنسان جشعه ومكره!

[1] رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (117).

فالحيوان يفترس حيوانًا مثله ليبقى على قيد الحياة وكيلا يموت جوعًا، بينما يقتل إنسان أخاه خوفًا أن يكون أفضل منه يومًا من الأيام!

نحن نعيش في زمن كثر فيه المتكبرون، وربما وصل حال بعضهم إلى أن يقول أنه متفضل على الله، والعياذ بالله!

لن أطيل المقدمة لكن إليك مثال واحد لأختصر ما في خلدي:

يظن بعض الناس أن المطر بسبب نفقاتهم، وهو عندهم من باب (صدقة السر تطفئ غضب الرب). وربما وصل إلى ظن بعضهم أنهم يستطيعون بأموالهم منع أي كارثة أن تحل بهم! ولم يبقَ إلا أن يقولوا: نشتري الرب بأموالنا! والعياذ بالله!

ولي مع هذا الكلام وقفات:

هل صدقة السر تصبح صدقة سر لمن يتباهى بها؟ ويقول أمام الملأ: مُطرنا بسبب صدقاتنا، وهذا مؤشر خير لنا؟! ولم يبقَ إلا أن يقول: نحن أبناء الله وأحباؤه؟

هل يطفئ غضب الرب من يتصدق وهو ما زال مستمرًا في معاصيه؟

هل يطفئ غضب الرب من كان مستمرًا في تخذيل المحتاج والمظلوم؟

هل يطفئ غضب الرب من يمنّ على الفقير بعدما تصدق عليه؟!

هل يطفئ غضب الرب من رأى ظالمًا يَظلم، فيقول: هذا ما يستحقه المظلوم! لأن الله خلق الناس طبقات، الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء، وهذا الضعيف المخذول الذي ظُلم نال منزلته التي يستحقها. ثم يمشي.

بين الناس ويقول: أنزلوا الناس منازلهم! ويستدل بهذه العبارة في غير موطنها!

أين نحن من حديث: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب).[1]

إذًا، إذا رأى مجتمع ظالمًا أو ظالمين ولم يأخذوا على أيديهم يوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده، لا أن يُمطروا!

هل تعلم ما يفعل هؤلاء بعد التصدق؟ هل تعلم أن بعضهم يذل من تصدق عليه! فلو أن المتصدق لقي المتصدق عليه بوجه حسن، خير له من هذا الفعل الذي ربما لا يصدر حتى من ملحد لا يؤمن بالله واليوم الآخر!

هل تعلم أن بعضهم يعطي عامل نظافة صدقة، ثم بعدها يرمي القمامة أمامه على الأرض ليلتقطها!

---

[1] رواه أبو داود (4338).

ثم بعد ذلك يقولون مُطرنا بأموالنا؟ وهل هو واجب عـلى الله أن يسـتجيب لـك؟! تعـيش في مملكتـه وتقـول يجب عليك أيها الرب أن تستجيب لنا؟! تذكّر أيها العبد المسكين أنك تشتري نفسك بصدقاتك كي تعتق رقبتك من النار، لا أنك اشتريت الرب بمالك! والعياذ بالله!

فأنت بائع نفسك أيها العبد لترضي ربك، ويبقى الأمر بيد الله أن يتقبلك برحمته إن كنت صادقًا، أو يرفضك بعدله إن كنت غير ذلك.

قال الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: 207].

وقال: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ} [سورة التوبة: 111].

فـاعرف قـدرك أيهـا العبـد المسـكين، وسـل الله الإخلاص والقبول!

واحمدوا الله على إمهاله لكم على تجاوزاتكم، فإنه عز وجل يمهل ولا يهمل، حتى إذا أخذ الظالم لم يفلته.

فتوبوا إلى الله –يا من كان هذا نهجه- قبل أن تحل عليكم سحائب اللعنات!

معذرة إلى الحيوانات

أخطأت في حق الحيوانات حينما ناديت نذلًا "يا حيوان".

أخطأت في حق الحيوانات مرة أخرى عندما قلت عن بعض البشر: "كلاب لابسين ثياب".

فالإنسان أصبح بلا إنسانية وأقرب إلى البهيمية، والحيوان المفترس -ناهيك عن الأليف- أصبح أرحم من كثير من البشر.

هل تعلم...؟

هـل تعلـم أن الإنسـان والحيـوان خُلقـا مـن نفـس المادة؟[1]

فعلامَ التكبر أيها المخلوق من تراب؟

قال الشيخ عبدالله النوري -رحمه الله-:

إن الله خلق الإنسان كما خلق الحيوان.. خلقه من نفس المادة التي خلق منها سائر الحيوان.. خلق الإنسان من لحم ودم وعظام.. وخلق الحيوان هكذا. والإنسان يتغذى كما يتغذى الحيوان ويتنفس كما يتنفس الحيوان ولكن الله عز وجل فضل الإنسان على سائر خلقه بأن وهبه عقلًا يدرك به وسخر له بهذا العقل جميع ما في الأرض برها وبحرها وهواها. سخرها لمن علم فعمل بما علم. سخرها لمن غذى عقله بالمعارف فسار يهديها على طريق مستقيم.

---

[1] المادة هي التراب، إن صح الخبر. إشارة إلى ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه: (يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم، والدواب، والطير، وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا فذلك {يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ: 40]) [رواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (3231)].

أما ذلك الإنسان الجاهل فقد وصفه الله في كتابه العزيز أنه كالحيوان {لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ}.

نعم إنهم أضل من الأنعام لأن للأنعام أو للحيوان هدى فطر عليه أما هؤلاء فلا.[1]

هل تعلم أن نوحًا نادى في الحيوانات مرة واحدة فقط فركبت السفينة! وقضى ألف سنة إلا خمسين عامًا ينادي البشر فاختار أكثرهم الغرق!

هل تعلم أن الابتعاد عن الناس غنيمة؟ وإن خُيِّرتَ بين مخالطة الحيوان والإنسان، فاختر مخالطة الحيوان بلا تردد.

قال سفيان: (إني لأفرح إذا جاء الليل ليس إلا لأستريح من رؤية الناس).[2]

---

[1] يوميات زائر للشرق الأقصى، ص. 64.

[2] حلية الأولياء، ج. 6، ص. 389.

وقال الشاعر:

عَوَى الذّئبُ فاستأنستُ بالذّئبِ إِذْ عَوَى

وَصَوَّتَ إنسانٌ فكدتُ أَطِيرُ

ويُقال أن الفيل يعيش مئات السنين لبعده عن الناس![1]

فلا تظن أن العيش مع البشر أيسر من كونك حيوانًا في غابة، وإن شئت اقرأ قول الله تعالى: {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان: 44].

فحتمًا أنك تعيش بين من هم أضل سبيلًا من الأنعام!

هل تعلم أن بعض الحكماء قال "من لم يشكر الله على الإنعام فاعدده من الأنعام"؟

---

[1] الحيوان، ج. 7، ص. 119.

وأقول: اعدده أسوأ من الأنعام.. لأن الإنسان عنده عقل ولم يشكر الله على نعمه، بينما البهيمة بلا عقل وتذكر ربها!

روي عن كعب أنّه قال: ركّب الله في الملائكة العقل بلا شهوة وفي البهائم الشهوة بلا عقل وفي ابن آدم كليهما فمن غلب عقله شهوتَه فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوتُه عقلَه فهو شرٌّ من البهائم.[1]

وقال أبو حامد الغزالي:

من استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكًا وربانيًّا كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم.

ومن صرف همته إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى حضيض أفق البهائم، فيصير إما غمرًا كثور وإما شرهًا كخنزير. وإما ضربا ككلب، أو

---

[1] البدء والتاريخ، ج. 1، ص. 181.

سـنور، أو حقـودًا كجمـل، أو متكـبرًا كنمـر، أو ذا روغـان كثعلب، أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد.[1]

قال ابن الأعرابي: قال أعرابي: إنه ليقتل الحبارى هزلًا ظلمُ الناس بعضهم لبعض.[2]

هل علمت الآن سبب تصنيفي لهذا الكتاب؟

[1] إحياء علوم الدين، ج. 3، ص. 9.
[2] الحيوان، ج. 5، ص. 299.

تعلّمت من الإبل

علمـوني أن العظـيم يظـل معظَّمًـا في عيـون جميـع الناس.. والحق أن كثرة مشاهدة العظيم ومجالسته يقل من هيبته عند من يجالسه! فإذا ترى الشيء العظيم كل يوم فإنه لا بد أن يأتي اليوم الذي يقل فيه قدره عندك! وهذا ما تعلمته من الإبل!

قال الدميري: (والإبل من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها، وهو أنها حيـوان عظـيم الجسـم، سريـع الانقيـاد، يـنهض بالحمـل الثقيل، ويبرك به، وتأخذ زمامه فأرة فتذهب به إلى حيث شاءت، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه، مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفه ووسائده، كأنه في بيته ويتخذ للبيت سقف وهو يمشي بكل هذه).[1]

[1] حياة الحيوان الكبرى، ج. 1، ص. 27.

تعلّمت من الأسد

_ علموني أن المرء إما أن يكون شجاعًا أو جبانًا، وليس هناك منزلة بين المنزلتين، أو ما تُسمى بالمنطقة الرمادية!

يقول الدميري عن الأسد: (ويوصف بالشجاعة والجبن، فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك)![1]

فالمرء مهما بلغ من الشجاعة، فلا بد أن يضعف ويجبن في موقف، أو عند حد معين.. كزوجة.. أو ولد.. أو مال.. أو جاه.. إلخ.

قال القزويني: (والأسد يهرب من الديك الأبيض).[2]

تعلمت أن كل مخلوق عنده نقطة ضعف.

---

[1] حياة الحيوان الكبرى، ج. 1، ص. 11.

[2] عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ص. 317.

– وعلموني إذا كنت جائعًا فعلي أن أملأ الدنيا عويلًا حتى يسمعني الناس فيساعدوني!

والنتيجة كانت = أن كل واحد منهم قال لي: (ساعد نفسك والله يعينك.. وإلّي ياكل على ضرسه ينفع نفسه)![1]

بينما تعلمت من الأسد أنه لا يزأر حال جوعه حتى لا يهرب الصيد![2]

تعلمت في الختام أن أقضي حاجتي بالكتمان!

– وتعلمت من الأسد عزة النفس والكرامة وتقوية جانب الإيمان بالقدر.

---

[1] إلّي: الذي.

[2] يُنظر عجائب المخلوقات، ص. 317.

قال الشاعر:

وَتَجتَنِبُ الأُسودُ وُرودَ ماءٍ

إِذا كانَ الكِلابُ وَلَغْنَ فيهِ

بينما تعلمت من البشر أنهم يتقاتلون على رزق غيرهم، ويزعمون أنه من المفترض أن يكون لهم!

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن الروح الأمين قد نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها، فأجملوا في الطلب).[1]

يقول صديقي الشاعر فهد بن غزاي العتيبي –الذي لا يحب أن يقال عنه شاعر-:

عن دروب الردى نفسي رفعتها

وما يكسر شموخي عاصف أو زمهرير

[1] رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (1141).

دروس الوقت في قلبي نقشتها

نفضت عن **كتفي هموم المقادير**

تعلّمت من الأفعى

قالت العرب في أمثالها: (أظلم من أفعى). وكيف تظلم الأفعى؟

قال عبدالقادر البغدادي: (لأنها لا تحفر جحرًا وإنما تأتي إلى جحر قد احتفره غيرها فتدخل فيه وتغلب عليه، فكل بيت قصدت إليه هرب أهله منه وخلوه لها).[1]

وأنتَ كالأفعى التي لا تحتفِرْ

ثمَّ تجي سادرةً فَتَنْحَجِرْ [2]

تعلمت من الأفعى أن بعض الناس ليسوا أكثر شرًّا منها!

---

[1] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج. 3، ص. 119.

[2] مجمع الأمثال، ج. 1، ص. 445.

كيف؟

يضحكون على الأفعى لظلمها، وهم يفعلون أشنع من فعلها بكثير! فيريدون المال وهم نائمون، ويريدون وظائف ليس في تخصصاتهم ولا يفهمون فيها، وإنما لأنها تجلب المال فحسب، ويريدون الراحة بلا تعب جسدي أو نفسي!

تعلّمت من البعوضة

– علموني أن البعوضة مخلوقة حقيرة.. يسهل قتلها.. ولا يخافها إلا أحمق!

بينما تعلمت من البعوضة أن الله جعل سره في أضعف خلقه، وربما البعوضة كانت آفة صغيرة على شريحة معينة، وكل آفة عليها من الله آفة!

قال الدميري عن الجاموس: وهو حيوان عنده شجاعة وشدة بأس، وهو مع ذلك أجزع خلق الله يفرق من عض بعوضة ويهرب منها إلى الماء، والأسد يخافه.[1]

قال الشاعر:

لا تحقرن صغيرًا في مخاصمة

إن البعوضة تدمي مقلة الأسدِ

[1] حياة الحيوان الكبرى، ج.1، ص. 264.

- والبعوض له جناحان لا يكادان يريان إلا إذا طار.[1]

وكهذا الإنسان، عنده من الابداعات والامتيازات التي لا يظهرها إلا في مناسبات معينة أو مجال معين.

تعلمت من البعوض ألا أحتقر نفسي.. وألا أحتقر كائنًا حيًّا.

- قال ابن خالويه: الهمج الجوع، وبه سمي البعوض لأنه إذا جاع عاش وإذا شبع مات.[2]

وهكذا بعض الناس.. إذا شبع مات حقدًا وحسدًا.. وإذا جاع عاش محترمًا.

قال الله تعالى: {وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ} [الشورى: 27]

وصدق من قال: (قليل هنّاك خير من كثير عنّاك).

---

[1] حياة الحيوان الكبرى، ج. 1، ص. 281.
[2] لسان العرب، مادة (همج).

تعلمت من التيس

علموني أن العري وكشف العورة تطور وحضارة، وبعد التأمل تيقنت أنهم مهانون مذلون!

قال بعض القصاص: ومما فضل الله عز وجل به الكبش أن جعله مستور العورة من قبل ومن دبر، ومما أهان الله تعالى به التيس أن جعله مهتوك الستر، مكشوف القبل والدبر.[1]

[1] الحيوان، ج. 5، ص. 312.

تعلمت من الجرذي

علموني أن الرجولة تكون بوجود الذكر والخصيتين، ومن عدمهم عدم صفات الرجولة كالشجاعة والكرم والحياء.

بينما تعلمت من الجرذي أنه إذا خصي صار شجاعًا!

قال الزمخشري: (الجرذ إذا خصي أكل الجرذان أكلًا لا يقوم له شيء منها. قالوا: الخصي من كل جنس أضعف من الفحل إلا الجرذ، فإن الخصاء يحدث فيه شجاعة وجرأة لا يدع الجرذان الكبار التي غلبت الهررة وبنات عرس إلا قتلها).[1]

[1] ربيع الأبرار، ج. 5، ص. 433.

تعلّمت من الجعل

يضحكون على الجعل، وبعضهم أسوأ حالًا منه.. يرفض العيش في راحة وهناء، ويفضّل الكدر والمتاعب.

قال الدميري عن الجعل: ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب، فإذا أعيد إلى الروث عاش. قال أبو الطيب يصفه في شعره: كما تضر رياح الورد بالجعل.[1]

وقال ابن الوردي:

أيُّها العائبُ قولي عبثاً

إن طيبَ الوردِ مؤذٍ للجُعَلْ

يسخرون من الجعل الذي يموت من ريح الورد، وهم يموتون عند سماع الفكر السليم!

[1] حياة الحيوان الكبرى، ج. 1، ص. 281.

تعلمت من الحمار

– علموني أنه لا يقف أمام الظالم الذي لا يكف عن قطع رؤوس الناس ظلمًا وعدوانًا إلا شجاع!

قال القزويني: (وجميع الحيوانات تهرب من زئيره[1] إلا الحمار فإنه يقف عن السعي).[2]

تعلمت أن من يقف أمام الظالم أحيانًا ليس بالضرورة أن يكون وقوفه صادرًا عن شجاعة، وإنما ربما لأنه فات الأوان، و"مُكْرَهٌ أخاك لا بطل"!

قالوا في المثل الكويتي: (ما ينفع القيس عقب الغرق).[3]

– ويعيبون على الحمار أنه يأكل الحنظل![4]

---

[1] زئير الأسد.

[2] يُنظر عجائب المخلوقات، ص. 317.

[3] القيس: قياس.

[4] هذا هو الموروث الشعبي. وذكر القزويني أن الظباء تحب أكله. يُنظر عجائب المخلوقات، ص. 233.

وهم يطعمون الضيف ما لذَّ وطاب ثم يسممون بدنه بالكلام القبيح وما يكدره.

وصدقوا في المثل المصري: (لاقيني ولا تغديني).

تعلمت من الحية

يعيبون على الحية أنها خبيثة وليس فيها إلا خصال شر، ويقولون: هل عسى أن نجني من الشوك العنب؟

قال الجاحظ: (والحية إذا رأت حية ميتة لم تأكلها، ولا تأكل الفأر ولا الجرذان الميتة، ولا العصافير الميتة، مع حرص الحية عليها ولا تأكل إلا لحم الشيء الحي).[1]

وهكذا هم كثير من بني آدم.. يأكلون آدميين أمثالهم وهم أحياء، بينما لا يذمون الميت، لأن الميت لا تجوز عليه إلا الرحمة!

تعلمت من الحية أنها أكثر صراحة وجرأة منهم..!

[1] الحيوان، ج. 5، ص. 237.

تعلمت من دود القز

تعلمت من دود القز أن الإنسان ليس أفضل منه!

قال الإمام أبو طالب المكي: وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم مثل دود القز لا يزال ينسج على نفسه لجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره وربما قتلوه إذا فرغ من نسيجه لأن القز يلتف عليه فيروم الخروج منه فيشمس وربما غمزوه بالأيدي حتى يموت لئلا يقطع القز وليخرج القز صحيحاً، فهذه صورة المكتسب الجاهل الذي أهلكه أهله وماله فتنعم ورثته بما شقي به فإن أطاعوا به كان أجره لهم وحسابه عليه وإن عصوا به كان شريكهم في المعصية لأنه أكسبهم إياها به فلا يدري أي الحسرتين عليه أعظم أذهابه عمره لغيره أو نظره إلى ماله في ميزان غيره.[1]

[1] قوت القلوب، ج.1، ص. 153.

وقد أشار إلى ذلك أبو الفتح البستي بقوله:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْءَ طُولَ حَياتِهِ

مُعَنًّىً بأمرٍ لا يَزَالُ يُعَالِجُهْ

يدورُ كَدودِ القزِّ ينسجُ دائمًا

ويهلكُ غمًّا وَسْطَ ما هو ناسِجُهْ

وله أيضًا وأجاد:

لا يغرُنَّكَ أنَّنِي ليِّنُ اللَّمْ

سِ فَعَزمِي إذا انتضيت حُسامُ

أَنَا كالوردِ فيه راحَةُ قَومٍ ثُمَّ فيهِ لآخرِينَ زُكامُ [1]

[1] حياة الحيوان الكبرى، ج. 1، ص. 476.

تعلمت من الديك

علمني كثير من الرجال أن أتزوج سواء كنت قادرًا أم لا.. أستطيع أن أعدل أم لا.. عندي سكن أم لا.. عندي مال أم لا..

فيهتفون: زواج، زواج، زواج... تعدد، تعدد، تعدد!

قال الدميري عن الديك: (وفيه من الخصال الحميدة أنه يسوي بين دجاجه، ولا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادرًا).[1]

تعلمت من الديك أن أعرف قدري وقدراتي وألا أتجاوز حدودي..

وتعلمت الرجولة والشجاعة من الديك.. ولذا قالت العرب في أمثالها: (أشجع من ديك).[2]

---

[1] حياة الحيوان الكبرى، ج.1، ص. 478..

تعلمت من الذباب

– قال الدميري: (والذباب أجهل الخلق لأنه يلقي نفسه في التهلكة).[1]

لا لوم على الذباب إذ لا عقل له، فالأسوأ منه إنسان ذو عقل يلقي نفسه في التهلكة!

فتعلمت من الذباب أن بعض البشر أسوأ منه بكثير!

كيف لا، والعتب على من عنده عقل ويعمل عمل من لا عقل له؟

– وعلموني ألا تقع عيناي على الرديء كالذباب!

---

[2] حياة الحيوان الكبرى، ج.1، ص. 480.

[1] حياة الحيوان الكبرى، ج.1، ص. 488.

اكتشفت لاحقًا أن هناك نوع من الذباب اسمه ذباب الأسد، وهو لا يقع إلا على الأسد![1]

وهكذا النقد البناء؛ تقع عيناك على الأمر المشين الصغير فيما كان جله حسن، لتزيله وتصفّيه وتظهره بأحسن صورة.

– وعلموني أن الذباب يعيش أربعين يومًا.. فلا داعي لملاحقته وقتله وإنما علي الانتظار.. ولم يخبروني أنهم كالذباب، لا يكفُّون شرهم الا بالموت!

[1] يُنظر عجائب المخلوقات، ص. 369.

تعلّمت من الذئب

– علموني أن نكون كالذئاب.. نقتنص الفرص.. ولا نرحم.. ثم تعلمت أن الذئب يرحم غيره في مواضع. قال الجاحظ: ويقولون إن الضبع إذا صيدت أو قُتلت، فإن الذئب يأتي أولادها باللحم. وأنشد الكميت:

كما خامرَتْ في حضنِها أمُّ عامر[1]

علموني القسوة، والذئب علمني الرحمة!

– وعلموني أن القوي إذا ضعف فإن الناس تزيده همًّا إلى هم، وضعفًا إلى ضعف، وأفضلهم حالًا من يتركه وشأنه ولا يساعده! وإذا طاح الجمل كثرت سكاكينه!

وفعلهم هذا يشابه فعل الذئاب! غير أنهم يعيبون على الذئاب هذا الفعل، ويقولون: (إن لم تكن ذئبًا أكلتك الذئاب).

---

[1] الحيوان، ج.1، ص. 149.

قال القزويني: (وإذا مرض[1] انفرد عن الذئاب لعلمه بأنها إن علمت بضعفه أكلته).[2]

[1] أي: الذئب.

[2] عجائب المخلوقات، ص. 323.

تعلّمت من الضب

يضحكون على الضب إذ يأكل بعره، وهو طيب عنده.[1]

بينما هم يأكلون المال الحرام، ويخادعون في البيع والشراء، وربما أكلوا الدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، وشربوا وتعاطوا المسكرات!

الضب صريح، بينهما من يذم فعل الضب ويفعله منافق فصيح!

[1] الحيوان، ج. 6، ص. 32.

تعلمت من الضبع

يضحكون على الضبع لأنها تكون عامًا ذكرًا وعامًا أنثى.[1]

علموني أن أتحلى بصفات الرجال دائمًا.. لكنهم أحيانًا يتأنثون بحجة (من خاف سلم)، ثم لا يكتفون بهذا الحد، بل يصفون ما فعلوه رجولة، ويقولون: (النحشة ثلثين المرجلة).[2]

---

[1] الحيوان، ج. 7، ص. 109.

[2] النحشة: الهرب.

تعلمت من العقرب

– تعلمت أن العقرب إذا شق بطنها ثم شد على موضع اللسعة، فإنها حينئذ تنفع منفعة بينة![1]

وهكذا بعض الناس.. لا يُنتفع بهم إلا إذا ماتوا، وطالما هم أحياء لا يُنتفع بهم. ويا ليت يُنتفع بهم بعد موتهم بشيء ثمين، وإنما يُنتفع بهم بكف شرهم!

– والعقرب تطلب الإنسان وتقصد نحوه، فإذا قصد نحوها فرَّت وهربت وتقصد أيضًا نحو الإنسان، فإذا ضربتْهُ هربت، هرب من قد أساء، وتعلم أنها مطلوبة.[2]

وهكذا بعض البشر، إذا قصدته هرب منك، ومن نلحقه ونتمنى بقاءه يرحل، ومن نطلب منه الرحيل يلحقنا!

---

[1] الحيوان، ج. 5، ص. 238.

[2] الحيوان، ج. 5، ص. 239.

– قال الجاحظ: (ومن أعاجيب العقارب أنها تلسع الأفعى فتموت الأفعى ولا تموت هي، وتلسع بعض الناس، فتموت هي، ولا ينال الملسوع منها من المكروه قليل ولا كثير. ويزعم العوام أن ذلك إنما يكون لمن لسعت أمه عقرب وهو حمل في بطنها).[1]

بعض البشر يسممون الآخرين بأفكارهم ويسلمون هم، وبعضهم يحاول أن يضر صاحبه فييأس، وبعدما ييأس يذهب بين الناس يتباكى ليطبق المثل: (ضربني وبكى، سبقني واشتكى).

[1] الحيوان، ج. 5، ص. 245.

تعلّمت من الغراب

تعلمت من الناس قتل الناس.. وتعلمت من قابيل قتل أخيه هابيل.. بينما تعلمت من الغربان دفن الميت.

قال الله تعالى: {فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (30) فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ} [المائدة: 30 – 31].

هكذا يعلم الحيوانُ الإنسان.. ثم يستغربون قائلين: كيف تفوَّق الحيوان على الإنسان في العلم؟

تعلمت من الفيل

علموني أن العظيم لا يهرب من الحقير المستقذر، بينما تعلّمت أن الفيل يهرب من صوت الخنزير![1]

إنها المشاعر التي لا يفهمها الحمقى والمغفلون!

نهرب من القذر لئلا يدنسنا بقذارته!

وأحيانًا الواحد منا يهرب من كائن لطيف كالقطة، لا خوفًا منها، ولكن (إلّي بدّو يلعب مع القط بدو يتحمل خراميشو).[2]

---

[1] يُنظر عجائب المخلوقات، ص. 321.

[2] إلّي: الذي. بدو: يبغي. خراميشو: خراميشه.

تعلمت من القرد

علمــوني أن دور القــرد بــين الحيوانــات كــالمهرج، ليُضحك عليه فحسب، ولا فائدة منه سوى ذلك!

حتى تعلمت أن زعيم الغابة الأسد إذا مرض أكل قردًا فيزول مرضه![1]

تعلمت من هذا الموقف أن أنتبه من أحكام الناس بعضهم على بعض!

[1] يُنظر عجائب المخلوقات، ص. 317.

تعلمت من الكلب

الكلب إذا جاع هز ذيله للإنسان كي يطعمه، وبعد الإطعام يكون وفيّاً له ولا ينسى معروفه.

الإنسان إذا جاع تمسكن، فإذا شبع تمكن وبطش في الأرض، ثم إذا سُحبت منه صلاحياته تمسكن مرة أخرى ويقول: "ارحموا عزيز قوم ذل!"

تعلّمت من اللبوة

علموني أن أترك الشيء بالكلية إذا كان شره يغلب على خيره، حتى تعلمت أن اللبوة تضعف عند الولادة لأن الولد يخدش رحمها ببراثنه، فالليث يأتي **بحرباء** لتأكلها فتبرأ من مرضها![1]

وفي المثل الإنجليزي:

Keep a thing seven years and you'll always find a use for it

الترجمة: احتفظ بالشيء سبع سنوات، وستجد له نفعًا يومًا ما.

وبمعنى آخر: ما تحفظه اليوم قد تحتاجه غدًا.. وما لا تراه في عينك اليوم نافعًا، قد تطلبه غدًا.

[1] يُنظر عجائب المخلوقات، ص. 317.

تعلمت من النمل

- تعلمت من النمل التعاون والانضباط.

وتعلمت من البشر أن التعاون والانضباط ضعف ومذلة.. وإنما الحل عندهم أن تكلف الأعمال الشاقة غيرك ليقوم بها ولا تمد له يد العون على الرغم أنه واجبك!

- وتعلمت من النمل حسن التدبير والتنظيم في سيرها وبحثها عن الغذاء.

يُروى عن أبي موسى الأشعري: (إن لكل شيء سادة حتى إن للنمل سادة).[1]

[1] الحيوان، ج. 5، ص. 284.

بينما تعلمت من البشر أن وضع مسؤول أو قائد على مجموعة إهانة، وتعليلهم: كلنا رجال، وكل رجل مسؤول عن نفسه!

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن أهل الجاهلية أنهم يرون: (مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ غي ذلك، وأبد أفيه وأعاد).[1]

[1] مسائل الجاهلية، ص. 7.

تعلمت من الهرة

علموني أنه لا ينبغي أن أكون حذرًا، لأن الإنسان السليم لا ينبغي أن يكون له أي عدو، ومن ثم لا داعي للحذر.

وعلموني من عنده أعداء فهو إنسان ظالم.. وبالله عليكم، أليس ما من نبي إلا وله عدو؟!

بينما السنور الذكي علمني دفن بعره حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب. [1]

قال ابن الوردي:

ليسَ يخلو المرْءُ عنْ ضدٍّ وإنْ

حاولَ العزلةَ في رأسِ جبلْ

[1] يُنظر عجائب المخلوقات، ص. 325.

قـد لا يكـون هنـاك رابـط ظـاهر في كشـف الحكمـة..
فعليك أن تعمل عقلك للربط والفهم..

نصيحة: اهرب ممن تظنه عدوًا قبل أن تكتشف أنه عدو يقينًا!

الخاتمة

رب قائل يقول: بالغتَ في تفضيل البهائم والحشرات على البشر.. ألم تسمع إلى قول الله تعالى: {وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ} [الإسراء: 70]؟

الجواب: سمعت.. الله سبحانه كرّم بني آدم.. لكن يرفض أفراد من بني آدم هذا التكريم.. وما ذنبي إذ الإنسان لم يكرم نفسه؟

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الحديث النبوي:

1. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ن. السعادة - دار الكتب العلمية- بيروت، 1409 هـ.
2. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، ن. المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
3. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تح. الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، ن. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، 1423 هـ - 2003 م، ط. الأولى.

ثالثًا: مصادر عن الحيوانات:

1. حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، ن. دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ، ط. الثانية.
2. الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، تح. عبدالسلام هارون، ن. مكتبة ابن سينا، 2013، ط. الأولى.
3. عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد القزويني، ن. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1421 هـ - 2000م، ط. الأولى.

رابعًا: المراجع العامة:

1. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، ن. دار المعرفة – بيروت.
2. البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، ن. مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
3. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح. عبد السلام محمد هارون، ن. مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418 هـ - 1997 م، ط. الرابعة.
4. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري، ن. مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1412 هـ، ط. الأولى.
5. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية

الحارثي، أبو طالب المكي، تح. د. عاصم إبراهيم الكيالي، ن. دار الكتب العلمية – بيروت، 1426 هـ -2005 م، ط. الثانية.
6. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، ن. دار صادر – بيروت، 1414 هـ، ط. الثالثة.
7. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، تح. محمد محيى الدين عبد الحميد، ن. دار المعرفة - بيروت، لبنان.
8. مسائل الجاهلية، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي.
9. يوميات زائر للشرق الأقصى- أو 35 يومًا في الشرق الأقصى، عبدالله النوري، ب. ط، ب. ن.

انضم إلى مجموعة دار بسمة على واتساب، من هنا

تصفح إصدارات أخرى عبر مكتبة دار بسمة، من هنا

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

المحتويات

إهداء وتحية وإجلال..... 6
مقدمة..... 7
معذرة إلى الحيوانات..... 14
هل تعلم...؟..... 15
تعلّمت من الإبل..... 20
تعلّمت من الأسد..... 21
تعلّمت من الأفعى..... 25
تعلّمت من البعوضة..... 27
تعلمت من التيس..... 29
تعلمت من الجرذي..... 30
تعلّمت من الجعل..... 31
تعلمت من الحمار..... 32

تعلمت من الحية 34
تعلمت من دود القز..... 35
تعلمت من الديك 37
تعلمت من الذباب..... 38
تعلّمت من الذئب..... 40
تعلّمت من الضب..... 42
تعلمت من الضبع..... 43
تعلمت من العقرب..... 44
تعلّمت من الغراب..... 46
تعلمت من الفيل..... 47
تعلمت من القرد 48
تعلمت من الكلب..... 49
تعلّمت من اللبوة 50
تعلمت من النمل 51
تعلمت من الهرة 53
الخاتمة 55
المصادر والمراجع..... 56

تعلّمت من البهائم
ما أخفاه عني البشر

ليست البهائم هي موضوع هذا الكتاب، بل الإنسان.

في صفحات هذا الكتاب رحلة تأمل في السلوك البشري من خلال مواقف ومشاهد وحكايات ومقارنات مستوحاة من عالم البهائم. يُسلط الضوء على صفاتٍ إنسانية متناقضة، فيكشف كيف قد يتعلم الإنسان أحيانًا من المخلوقات التي يظن نفسه أرقى منها.

بأسلوب يجمع بين السخرية والتأمل والنقد الاجتماعي؛ هذا الكتاب يدعو القارئ إلى إعادة النظر في كثير من المسلّمات والأفكار والعادات، ليتساءل في النهاية: من الذي يحتاج إلى التهذيب حقًّا، الإنسان أم البهيمة؟

Bassmabook
00212771814934
darbassma1@gmail.com